تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

«الشريط التاسع عشر»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

المتن: قال المؤلف رحمه الله تعالى:

وكذلك من نفى صفات الكمال عن الرب تعالى، خشية ما يتوهمه من التشبيه والتجسيم لله فقد جاء من التنقص بضد ما وصف الله سبحانه نفسه من الكمال.

الشيخ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

هذا في رد أوهام المعطلة الذين يزعمون أنهم ينزهون الله عز وجلّ، ولا شك أن تنزيه الله واجب قد نزه نفسه، وسبح نفسه سبحانه؛ هذا واجب؛ لكن أن يكون التنزيه على وفق ماجاء في الكتاب والسنة من إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال، ونفي المماثلة لله، ونفي المشابهة لله، أما من يأتي بتنزيه من عنده وبموجبه ينفي ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فهذا متنقص لله؛ لأنه سلب عنه الكمال لما نفى أسماء الله وصفاته نفى عنه الكمال، وإذا نفى عنه الكمال نقَّص الله عز وجل، فليس في إثبات أسماء الله وصفاته تنقص لله كما يزعمون؛ وإنما هي كمال، فهم ينفون الأسماء والصفات بحجة أنهم ينزهون الله عن مشابهة المخلوقين.

فكيف ينزهون الله عن شيء وصف نفسه به ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ؟!

هل هم أعلم من الله أو علم من الرسول ﷺ؟ حاشى وكلا.

الله جل وعلا أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه، قال جل وعلا: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾[طه: ١١٠] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة: ٢٥٥] كذلك أعلم الخلق بالله عز وجل وما يليق به الرسول ﷺ والرسل كلهم؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾[الصافات: ١٨٠] ما قال سبحان ربك رب العزة عما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ بل قال عما يصفون هم، الخلق، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ أي تنزه عما يصفه به المعطلة، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١﴾[الصافات: ١٨١]، سلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من العيب والنقص.

الله أعلم بنفسه وبغيره من خلقه؛ وأما إثبات الأسماء والصفات لله يقولون الشُبه، شبهتهم في هذا أنهم يقولون هذه الأسماء موجودة في الخلق وهذه الصفات موجودة في الخلق كالسمع والبصر والكلام، فلو أثبتناها شبهنا الله بخلقه.

فنقول الله جل وعلا له أسماء وصفات خاصة به، ولائقة به، والمخلوق له أسماء وصفات خاصة به، خاصة بالمخلوق، تليق بالمخلوق ولا تليق بالله عز وجل، فليس السمع كالسمع، وليس البصر كالبصر، وليس الكلام كالكلام، فهم أوتوا من هذه الشبهة الشيطانية، وهم يعلمون أنه لا تشابه بين الخالق والمخلوق لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته، يعلمون هذا لكن يغالطون في هذا ويقولون لو أثبتنا لله الأسماء لزم من هذا تعدد الآلهة، كل إسم يكون آلهة، هذا يقوله عاقل؟!

الإنسان يكون له صفات كثيرة وهو شخص واحد، تقول كاتب، عالم، مهندس، طبيب، وهو شخص واحد؛ فليس تعدد الصفات تدل على تعدد الموصوف، ولا يقول هذا عاقل، ولهذا لما سمع المشركون رسول الله ﷺ يصلي ويقرأ، يدعو الله في قوله يارحمن يارحيم، قالوا أنظروا إلى هذا إلها واحدا وهو يدعو آلهة كثيرة، يدعو رحمن ويدعو رحيم، فأنزل الله جل وعلا : ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ردَّ الله عليهم، وردَّ عليهم في قوله: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾[الرعد: ٣٠]؛ الذي ينفي أسماء الله وصفاته هذا على منهج أهل الجاهلية الذين رد الله تعالى عليهم وأبطل قولهم، ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ ، أسماؤه كثيرة، ولا تدل على تعدد الرب إنما تدل على كماله سبحانه وتعالى.

فكثرة الأسماء تدل على عظمة المُسمى، فليس تنزيه الله بنفي أسمائه وصفاته، وإنما هذا نفي لكماله، وإنما تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، ولا تشابه بين الخالق والمخلوق لا في ذاته ولا في أسماءه وصفاته، الله جل وعلا جمع بين إثبات الأسماء والصفات وبين نفي التشبيه، قال سبحانه وتعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورى: ١١] هذا نفي للتشبيه والتمثيل، ثم قال ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى: ١١] أثبت لنفسه السمع والبصر، مع أن المخلوق له سمع وله بصر؛ لكن لا يتشابه صفات الخالق وصفات المخلوق، ولا أسماء الخالق وأسماء المخلوق، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ .

الله قال في الإنسان ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾[الإنسان: ٢]، أثبت السمع والبصر للإنسان، وأثبت لنفسه السمع والبصر، فلا تشابه بينهما، صفات المخلوق

تليق به وصفات الخالق تليق به؛ لكن هؤلاء ما قدروا الله حق قدره، فمن نفى أسماء الله وصفاته فإنه ما قدر الله حق قدره سبحانه وتعالى بل تنقَّصه.

المتن: وكذلك من نفى صفات الكمال عن الرب تعالى خشية ما يتوهمه من التشبيه والتجسيم لله .

الشيخ: التجسيم هذا ما ورد في الكتاب والسنة نفيه ولا إثباته؛ إنما هو لفظ من عندهم، هم يقولون هذه الأسماء والصفات لا تكون إلا للجسم، والأجسام متشابهة، فينفونها عن الله ويسمونها تجسيم، أثبت لله الجسم لأن هذه الأسماء والصفات لا تكون إلا للجسم.

نقول: هذا من عندكم، التجسيم ما ورد لا إثباته ولا نفيه في الكتاب ولا في السنة؛ ولهذا يسمون أهل السنة والجماعة بالمجسمة، لماذا؟ لأنهم يثبتون الأسماء والصفات لله، ويقولون هذه الأسماء والصفات ما تكون إلا للجسم، فينفونها عن الله جلَّ وعلا، هات لي آية أو حديث فيها نفي تجسيم أو إثبات التجسيم، هذه لفظة مبتدعة من عندهم؛ فهم يبتدعون أشياء ويجعلونها قاعدة، ينفون بها أسماء الله وصفاته.

المتن: وكذلك من نفى صفات الكمال عن الرب تعالى خشية ما يتوهمه من التشبيه والتجسيم لله فقد جاء من التنقُّص بضد ما وصف الله به نفسه من الكمال.

الشيخ: فإذا نفي عن نفسه ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات فقد تنقص الله، هذا هو الذي تنقص الله عز وجل؛ أما الذي يثبت له الأسماء والصفات هذا أثبت له الكمال سبحانه وتعالى.

المتن: والمقصود :أن هاتين الطائفتين هم أهل التنقص فى الحقيقة، بل هم أعظم الناس تنقصا.

الشيخ: الجهمية والمعتزلة؛ الجهمية نفوا الأسماء والصفات ولا يثبتون لله إلا وجودا مجردا من الأسماء والصفات، هذا مستحيل أن شيء موجود ولا يكون له أسماء وصفات.

وأما المعتزلة فهم أثبتوا الأسماء لكن بدون معاني، يقولون ليس لها معاني، هي ألفاظ مجردة ليس لها معاني، السميع لا يدل على وصف الله بالسمع، البصير لا يدل على وصف الله بالبصر، العليم لا يدل على وصف الله بالعلم، وهكذا... أسماء مجردة عندهم، هذا مذهب المعتزلة، ينفون معانيها وما تدل عليه، هذا إثبات لا فائدة منه، شيء ماله معنى لا فائدة من إثباته، هذا مذهب المعتزلة.

المتن: والمقصود :أن هاتين الطائفتين هم أهل التنقص فى الحقيقة، بل هم أعظم الناس تنقصا لبس عليهم الشيطان.

الشيخ: الطائفتين الجهمية والمعتزلة هم أعظم الناس تنقصا لله، لما نفوا أسمائه وصفاته صاروا أعظم الناس تنقصا لله، وليس من أثبتها لله يكون متنقصا لله؛ بل هو وصفه بالكمال.

المتن: لبس عليهم الشيطان حتى ظنوا أن تنقصهم هو الكمال.

الشيخ: إي نعم، وهو التوحيد هو الكمال، حتى إنهم يقولون إن الذي يثبت صفات الله مشرك لأنه أثبت آلهة كثيرة؛ ولذا يقول الرازي في تفسيره عن الإمام ابن خزيمة، لما ألف الإمام ابن خزيمة كتاب الصفات لله عزوجل قال

هذا شرك، وهذا كتاب الشرك، يسمي كتاب ابن خزيمة كتاب الشرك؛ لأن عندهم من أثبت الأسماء والصفات فهو مشرك، تعالى الله عما يقولون.

المتن: لبس عليهم الشيطان حتى ظنوا أن تنقصهم هو الكمال ولهذا كانت البدعة قرينة الشرك فى كتاب الله تعالى.

الشيخ: هؤلاء ابتدعوا هذا المذهب، والبدعة قرينة الشرك، تجر إلى الشرك.

المتن: ولهذا كانت البدعة قرينة الشرك فى كتاب الله تعالى قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بغير الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُون﴾ [الأعراف: ٣٣] فالإثم والبغى قرينان، والشرك والبدعة قرينان.

الشيخ: نعم، الشرك نفاه سبحانه في قوله ﴿ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلطَاناً﴾ والبدعة نفاها بقوله ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُون﴾ ؛ فمن قال قولا لا دليل عليه من الكتاب والسنة فهو مبتدع، «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رَدٌّ»، مبتدع، فالبدعة والشرك قرينان في هذه الآية الكريمة، ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُون﴾ فالبدعة قول على الله بغير علم.

المتن: فصل، وأما نجاسة الذنوب والمعاصى.

الشيخ: نعم تقدم الكلام على النجاسة وأنها تنقسم إلى قسمين:

- نجاسة حسية: مثل نجاسة البول والغائط والمنجسات.

ونجاسة معنوية: وهي نجاسة الشرك، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، المشرك بدنه طاهر؛ ولذلك ما لبسه يُلبس بعده، ما أكل من الطعام والشراب يُؤكل بعده؛ لأن بدنه طاهر، وما لمسه فهو طاهر؛ لكن فيه نجاسة معنوية وهي نجاسة الشرك، ولهذا لا تحل ذبيحته لأنه نجس، لا تُنكح نساء المشركين لأنها نجس، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ نجاسة معنوية لا يطهرها إلا التوحيد، لا يطهرها إلا شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله، هذا الذي يُطهّر من نجاسة الشرك، أما النجاسة الحسية فهي يطهرها الماء.

المتن: وأما نجاسة الذنوب والمعاصى.

الشيخ: أيضا نجاسة الذنوب والمعاصي، هي نجاسة لكنها دون نجاسة الشرك.

المتن: وأما نجاسة الذنوب والمعاصى فإنها بوجه آخر، فإنها لا تستلزم تنقيص الربوبية، ولا سوء الظن بالله عز وجل.

الشيخ: إي نعم، ما تصل إلى تنقص الرب سبحانه وتعالى؛ ولكنها هي نجاسة بقدرها، المذنب ليس مشركا، الذي عنده ذنوب دون الشرك مثل الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وأكل الربا، هذا عنده نجاسة ذنوب لكنها لا تصل إلى نجاسة الشرك.

المتن: وأما نجاسة الذنوب والمعاصى فإنها بوجه آخر، فإنها لا تستلزم تنقيص الربوبية، ولا سوء الظن بالله عز وجل.

الشيخ: هذا أخف من الشرك بالله عز وجل، تصدر الذنوب والكبائر من المسلم ومن المؤمن، أما الشرك فلا يصدر إلا من مشرك وكافر.

المتن: ولهذا لم يرتب الله سبحانه عليها من العقوبات والأحكام ما رتبه على الشرك.

الشيخ: نعم؛ لأن المشرك لا يدخل الجنة، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢] والشرك يحبط الأعمال ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ أما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي فهو لا يحبط الأعمال ولا يمنع من دخول الجنة، الموحد إذا عصى الله يدخل الجنة ولو بعد ما يُعذب في النار بقدر معصيته، لا يُخلد في النار، فيه فرق بين المعصية والشرك.

المتن: ولهذا لم يرتب الله سبحانه عليها من العقوبات والأحكام ما رتبه على الشرك، وهكذا استقرت الشريعة على أنه يُعفى عن النجاسات المخففة، كالنجاسة فى محل الاستجمار، وأسفل الخف والحذاء.

الشيخ: النجاسة التي ليست نجاسة الشرك فيها شيء مخفف يكفي فيه المسح، مثل الفرج، القبل والدبر بعد الحدث إذا مُسح بالحجارة أو ما يقوم مقامها طهر ولا يلزم أنه يُغسل، عندك الإستجمار وعندك الإستنجاء، الإستجمار بالحجارة أو ما يقوم مقامها، والإستنجاء يكون بالماء، إذا اقتصر على واحد منها أجزأ بالإجماع، إذا اقتصر على الإستجمار أجزأ بالإجماع، هذا من تخفيف النجاسة، كذلك النعل إذا كان فيه نجاسة مسحتها بالتراب يطهر النعل بالمسمح، تخفيف، نجاسة مخففة.

المتن: وهكذا استقرت الشريعة على أنه يعفى عن النجاسة المخففة، كالنجاسة فى محل الاستجمار، وأسفل الخف، والحذاء وبول الصبى الرضيع.

الشيخ: بول الصبي الرضيع الذكر يكفي فيه الرش والنضح، « يُغسَلُ مِنْ بوْل الجارِيَة، ويُرَشُّ مِنْ بوْل الغُلام» كما في الحديث، مخففة، نجاسة بول الذكر الصبي مخففة، الذي لم يأكل الطعام، هذا نجاسة بوله مخففة، فيكفي فيها النضح.

المتن: وبول الصبي الرضيع وغير ذلك.

الشيخ: الرضيع يعني الذي يقتصر على الرضاعة، أما إذا أكل الطعام فنجاسته مثل نجاسة الكبير.

المتن: وبول الصبي الرضيع وغير ذلك مالا يُعْفَى عن المغلظة، وكذلك يعفى عن الصغائر ما لا يعفى عن الكبائر.

الشيخ: من الذنوب، يُعفى عن الصغائر، تُكفر الصغائر بعدة مكفرات؛ بخلاف الكبائر فلا تُكفر إلا بالتوبة ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] الصغائر تُكفر بأشياء كثيرة، وأما الكبائر فلا تُكفر إلا بالتوبة منها.

المتن: ويُعفى لأهل التوحيد المحض الذى لم يشوبوه بالشرك ما لا يُعفى لمن ليس كذلك.

الشيخ: يُعفى عن الموحد ولو أذنب مالا يُعفى عن المشرك، الله يعفو عن المسلم المذنب ما دام ما عنده شرك، وفي الحديث «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا

مَغْفِرَةً » فالموحد ولو صدر منه ذنوب قد يغفرها الله سبحانه وتعالى ولو كانت كثيرة.

المتن: فلو لقى الموحد الذى لم يشرك بالله شيئا، البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة.

الشيخ: هذا في الحديث الصحيح «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا» يعني: ملئ الأرض، « قُرَابِ» يعني ملئ، «بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً »، هذا وعد من الله سبحانه وتعالى، المعصية أخف من الشرك.

المتن:ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده وشابه بالشرك.

الشيخ: أما المشرك فلا يغفر الله له إلا بالتوبة؛ أما إذا مات وهو مشرك فهو خالد مخلد في النار.

المتن:ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده وشابه بالشرك فإن التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب، فإنه يتضمن من محبة الله وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب.

الشيخ: قرأتم أو تقرأون الآن في كتاب التوحيد **"باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب"**، هذا محل البحث الآن.

المتن: فإن التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب، فإنه يتضمن من محبة الله وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة، والدافع لها قوى فلا تثبت معه، ولكن نجاسة الزنا واللواط أغلظ من غيرها من النجاسات.

الشيخ: الكبائر تختلف، الكبائر التي دون الشرك تختلف، هناك أكبر الكبائر، الشرك، والسحر، والزنا، وأكل الربا، هناك أكبر الكبائر وهناك كبائر، الكبائر تتفاوت بعضها أشد من بعض، إبن مسعود ﷺ سأل النبي ﷺ، فقال له يارسول الله: أيُّ الذَّنْبِ أعْظَم؟ قالَ: «أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ» – فالشرك هو أعظم الذنوب– قُال: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: «وأن تُزَانِيَ بحليلةِ جارِكَ » الزنا محرم وكبيرة لكن الزنا بذوات المحارم وبزوجة الجار أشد والعياذ بالله «وأن تُزَانِيَ بحليلةِ جارِكَ » ثم قال: ثم ماذا؟ –يعني بعد هذا– قال: «أن تقتلَ ولدَكَ خَشْيَةَ أن يَطْعَمَ مَعَك» كما في الجاهلية، يقتلون أولادهم خشية الفقر، قتل النفس محرم وكبيرة لكن قتل الأقارب والأولاد أشد وأنزل الله في ذلك ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠] الكبائر تختلف، منها موبقات، «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ» يعني المهلكات، وهي أكبر الكبائر.

المتن:ولكن نجاسة الزنا واللواط أغلظ من غيرهما من النجاسات من جهة أنها تفسد القلب.

الشيخ: تفسد القلب، الزنا واللواط يفسدان القلب.

المتن: وتضعف توحيده جدا، ولهذا كان أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركا، فكلما كان الشرك فى العبد أغلب كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر.

الشيخ: الشرك يُسهِّل الوقوع في الكبائر، يسهِّل الزنا، يُسهِّل اللواط، يدعو إلى الفواحش والعياذ بالله،

المتن: فكلما كان الشرك فى العبد أغلب كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر، وكلما كان أعظم إخلاصا كان منها أبعد، كما قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤]

الشيخ: يوسف عليه السلام لما راودته إمرأة العزيز، إمرأة الملك، غلَّقت الأبواب وقالت هيت لك، ما عندهم أحد، إمرأة ملك، ومتزينة، ومتجملة، وطلبت منه أن يواقعها ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ﴾ إنتبهوا ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ﴾ السبب؟ ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٣ – ٢٤]، هذا هو السبب، أن يوسف عليه السلام مخلص لله عز وجل في عبادته وتوحيده، فأبى أن يواقع المرأة مع أن الدواعي كثيرة ولكنه بقوة إيمانه بربه، وتوحيده، ووفائه لسيده أيضًا أبى، وهرب منها، ولحقت به، وشقت قميصة، كل هذا لأن الله عصمه بسبب أنه من عباد الله المخلصين.

المتن: فإن عشق الصور المحرمة نوع تعبد لها.

الشيخ: نعم، قد يكون الإنسان ماعنده شرك بالله في العبادة لكن يتعلق قلبه بامرأة يعشقها، يصير عبدًا لها، يصير عبدا لمن عشقها، كما أنه إذا

طلب الدنيا وحرص عليها يصير عبدًا للمال، كما أنه إذا قدم هواه واتبع هواه صار عبدًا لهواه، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

المتن: فإن عشق الصور المحرمة نوع تعبد لها.

الشيخ: نعم، فمن عشق إمرأة صار عبد لها يتابعها، ويترضاها، ويفكر فيها دائما، يخضع لها، ولهذا أوجب الله الحجاب على النساء، وحرم الاختلاط لأجل منع الفاحشة، هذه وسائل من وسائل الفاحشة سدها الله عز وجل على المؤمنين لأجل أن يسلموا منها؛ لكن يأتي الفسقة والمنافقون الآن ويفتحون هذه الأشياء ويقولون مافيه حجاب، هذا تحجر على المرأة، ما فيه تحريم خلوة، ويفتحون هذه الأبواب القبيحة على الناس.

المتن: فإن عشق الصور المحرمة نوع تعبد لها بل هو من أعلى أنواع التعبد، ولا سيما إذا استولى على القلب وتمكن منه صار تتيُّما، والتتيُّم التعبُّد.

الشيخ: نعم تيم الله يعني عبد الله، فإذا أحب المرأة واشتد حبه لها صار متيَّمًا لها، يحبها أشد المحبة، وعبدًا لها يلتمس رضاها ويبعتد عما يسخطها.

المتن: فيصير العاشق عابدا لمعشوقه، وكثيرا ما يغلب حبه وذكره والشوق إليه، والسعى فى مرضاته.

الشيخ: ولهذا قال الله سبحانه ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠ – ٣١] الخمار غطاء الرأس يُسدل على الوجه حتى يغطيه ويغطي النحر، هذا الحجاب، منعا للشهوة، للمرأة التي لا تحل له.

المتن: وكثيرا ما يغلب حبه وذكره والشوق إليه، والسعى فى مرضاته، وإيثار محابه على حب الله.

الشيخ: إذا تعلق قلبه بالمرأة صار يلتمس رضاها ويتجنب ما يسخطها عليه، ولا يفعل هذا مع الله سبحانه وتعالى، لا يتجنب ما يسخط الله ويغضب الله عليه، بل ينظر للمرأة لا تغضب عليه، لا تقاطعه، دائما يتاليها وراءها، ولذلك تجدون من يبتلى بالذهاب إلى أسواق النساء وينظر إليهن دائما يذهب إلى الأسواق، ينفتن بهذا، ينفتن الذي يخالط النساء دائما يحريص على مخالطتهن لأنه عشقهن.

المتن: وذكره، والسعى فى مرضاته، بل كثيرا ما يذهب ذلك من قلب العاشق بالكلية، ويصير متعلقا بمعشوقه من الصور، كما هو مشاهد، فيصير المعشوق هو إلهه من دون الله عز وجل.

الشيخ: وليس النظر إلى صور المرأة مباشرة؛ بل ينظر إلى صورتها في الشاشة، في التلفزيون في الإنترنت، لا ينظر إليها إن كان يريد البراءة لقلبه، لا ينظر إلى الصور، صور النساء.

المتن: ويصير متعلقا بمعشوقه من الصور، كما هو مشاهد، فيصير المعشوق هو إلهه من دون الله عز وجل، يقدم رضاه وحبه على رضى الله وحبه، ويتقرب إليه ما لا يتقرب إلى الله، وينفق فى مرضاته ما لا ينفقه فى مرضاة الله، ويتجنب من سخطه ما لا يتجنب من سخط الله تعالى، فيصير آثر عنده من ربه :حبًا، وخضوعًا، وذلًا، وسمعًا، وطاعةً.

الشيخ: نعم، هذا واضح.

المتن: ولهذا كان العشق والشرك متلازمين، وإنما حكى الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط، وعن امرأة العزيز، وكانت إذ ذاك مشركة.

الشيخ: الشرك كما سمعتم يكون بالعشق أيضا، يشرك بمعشوقه يتلمس رضاه ويتجنب سخطه.

المتن: ولهذا كان العشق والشرك متلازمين، وإنما حكى الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط.

الشيخ: قوم لوط ما وقعوا في الفاحشة-فاحشة اللواط- التي ما سبقهم إليها أحد من العالمين، بل ولا حتى من البهائم، فلا تجد مثلا ذكر البهائم ينزو على ذكر آخر أبدا، ما تجد هذا في البهائم، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف: ٨٠] السبب أنهم ما كفوا أنظارهم عن النظر إلى الغلمان وإلى المعشوقين،فأوقعهم ذلك في اللواط والعياذ بالله، البصر هو الآفة؛ ولهذا لما جاءت الملائكة لإهلاكهم بقيادة جبريل عليه السلام ضرب بجناحه عليهم فطمس أعينهم، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧]، ضرب جبريل بجناحة أعينهم فعموا كلهم والعياذ بالله؛ لأن البصر هو السبب الذي أوقعهم في هذه الفاحشة،

المتن: ولهذا كان العشق والشرك متلازمين، وإنما حكى الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط، وعن امرأة العزيز، وكانت إذ ذاك مشركة.

الشيخ: وعن امرأة العزيز لأنها كانت مشركة، فهي التي أرادت أن تستعطف يوسف عليه السلام وتستجلبه ليقع في الفاحشة، ولكن الله عصمه بالتوحيد والإخلاص.

المتن: فكلما قوى شرك العبد بُلِيَ بعشق الصور، وكلما قوى توحيده صُرف ذلك عنه.

الشيخ: مثل ما حصل ليوسف صرف الله عنه السوء والفحشاء بسبب توحيده ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

المتن: والزنا واللواط كمال لذته إنما يكون مع العشق ولا يخلو صاحبهما منه، وإنما لِتنقُّله من محل إلى محل لا يبقى عشقه مقصورا على محل واحد بل ينقسم على سهام كثيرة، لكل محبوب نصيب من تألهه وتعبده.

الشيخ: نعم هو إذا ابتلي بالعشق لامرأة فإن هذا يسري على جميع النساء، يصير يتتبع النساء وينظر إليهن، أيهن أزين، أيهن أحسن، وهكذا..

المتن: فليس فى الذنوب أفسد للقلب والدين من هاتين الفاحشتين.

الشيخ: الزنا واللواط.

المتن: ولهما خاصية فى تبعيد القلب من الله، فإنهما من أعظم الخبائث، فإذا انصبغ القلب بهما بعُد ممن هو طيب، لا يصعد إليه إلا طيب.

الشيخ: الله جل وعلا طيب ولا يصعد إليه إلا الطيب ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] فهو طيب جل وعلا ولا يصعد إليه إلا

الطيب؛ أما الخبيث لا يصعد إلى الله عز وجل، ما يصعد إلى الله إلا التوحيد التسبيح والتكبير والكلام الطيب، أما الكلام الخبيث فلا يصعد إلى الله.

المتن: فإذا انصبغ القلب بهما بعد ممن هو طيب، لا يصعد إليه إلا طيب.

الشيخ: ولهذا قال الله جل وعلا ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾[النور: ٢٦] كل مع جنسه.

المتن: وكلما ازداد خبثا ازداد من الله بعدا، ولهذا قال المسيح عليه السلام فيما رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد" لا يكون البطالون من الحكماء، ولا يلج الزناة ملكوت السماء."

الشيخ: المسيح عيسى ابن مريم ﷺ.

المتن: فيما رواه الإمام أحمدفي كتاب الزهد.

الشيخ: كتاب مشهور للإمام أحمد اسمه الزهد.

المتن: " لا يكون البطالون من الحكماء، ولا يلج الزناة ملكوت السماء."

الشيخ: "ولا يلج الزناة ملكوت السماء" لا يرتفعون إلى الله جل وعلا.

المتن: ولما كانت هذه حال الزنا كان قرينا للشرك في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور: ٣]

الشيخ: قرن الزنا بالشرك، ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ﴾ يعني لا يتزوج ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ فقرن بين الزنا والشرك، ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾، فالزانية ما تُزوج ولا يصح تزويجها حتى تتوب

إلى الله عز وجل، وتستعدّ عدَّة، فإذا تابت واعتدَّت تتزوج من الطيبين؛ لأنها طهرت بالتوبة، أما ما دامت تمارس الزنا فلا يجوز للمسلم أن يتزوجها.

المتن: ولما كانت هذه حال الزنا كان قرينا للشرك فى كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور: ٣]

والصواب :القول بأن هذه الآية محكمة يُعمل بها، لم ينسخها شيء، وهى مشتملة على خبر وتحريم.

الشيخ: على خبر ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ﴾ هذا خبر ، ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ هذا حكم.

المتن: وهى مشتملة على خبر وتحريم، ولم يأت من ادعى نسخها بحجة البتة، والذى أشكل منها على كثير من الناس واضح بحمد الله تعالى، فإنهم أشكل عليهم قوله﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ هل هو خبر أو نهى، أو إباحة؟ فإن كان خبرا فقد رأينا كثيرا من الزناة ينكح عفيفة.

الشيخ: فليس هو مجرد خبر.

المتن: وإن كان نهيا فيكون قد نهى الزانى أن يتزوج إلا بزانية أو مشركة.

الشيخ: هذا ليس صحيحا، بل الزاني إذا تاب إلى الله تزوج بطيبة.

المتن: فيكون نهياً له عن نكاح المؤمنات العفائف، وإباحة له فى نكاح المشركات والزوانى، والله سبحانه لم يرد ذلك قطعاً.

الشيخ: لم يُبح الله أن يتزوج الزانيات، هذا ما هو بأمر إباحة، هذا خبر.

المتن: فلما أشكل عليهم ذلك طلبوا للآية وجها يصح حملها عليه، فقال بعضهم :المراد من النكاح الوطء والزنا، فكأنه قال :الزانى لا يزنى إلا بزانية أو مشركة، وهذا فاسد، فإنه لا فائدة فيه، ويصان كلام الله عن حمله على مثل ذلك، فإنه من المعلوم أن الزانى لا يزنى إلا بزانية، فأى فائدة فى الإخبار بذلك؟ ولما رأى الجمهور فساد هذا التأويل أعرضوا عنه.

ثم قالت طائفة :هذا عام اللفظ خاص المعنى، والمراد به رجل واحد وامرأة واحدة وهى عناقٌ البَغِى وصاحبها.

الشيخ: عناق اسم امرأة من أهل مكة، كانت تزني، تسافح، وكان رجل يأتيها ويزني بها فأسلم هذا الرجل وحسن إسلامه، جاءت إليه بعدما أسلم تريد أن يستمر على الزنا فأبى أن يبقى على ما هو عليه معها.

المتن: والمراد به رجل واحد وامرأة واحدة وهى عناقٌ البَغِى وصاحبها فإنه أسلم، واستأذن رسول الله ﷺ فى نكاحها فنزلت هذه الآية.

الشيخ: نهاه الله أن يتزوجها وهي عرضت عليه أن يستمر معها في الزنا فأبى ولجأ إلى أن يتزوجها فمنعه الرسول ﷺ أن يتزوج إمرأة زانية.

المتن: وهذا أيضا فاسد، فإن هذه الصورة المعينة، وإن كانت سبب النزول فالقرآن لا يُقتصر به على محال أسبابه.

الشيخ: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إذا كان سببها عناق ومن كان يزني بها فإن لفظها عام.

المتن: فالقرآن لا يقُتصر على محال أسبابه ولو كان كذلك لبطل الإستدلال به على غيرها.

وقالت طائفة بل الآية منسوخة بقوله وأنكحوا الأيامى منكم، وهذا أفسد من الكل، فإنه لا تعارض بين هاتين الآيتين، ولا تُناقض إحداهما الأخرى، بل أمر سبحانه بإنكاح الأيامى وحرَّم نكاح الزانية، كما حرَّم نكاح المعتدَّة والمحُرِمة وذوات المحارم، فأين الناسخ والمنسوخ في هذا؟!

فإن قيل فما وجه الآية؟

الشيخ: يعني كل هذا نفيته؟ فماذا تبقى؟

المتن: قيل وجهها والله أعلم أن المتزوج أُمر أن يتزوج المحصنة العفيفة، وإنما أُبيح له نكاح المرأة بهذا الشرط.

الشيخ: إي نعم، أن يتزوج إمرأة عفيفة يتجنب الزانيه، ما يتزوجها، حتى الكتابيات التي أباح الله نكاحها للمسلم، قال ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾[المائدة: ٥] يعني العفيفات عن الزنا.

المتن: قيل وجهها والله أعلم أن المتزوج أُمر أن يتزوج المحصنة العفيفة، وإنما أُبيح له نكاح المرأة بهذا الشرط.

الشيخ: المراد بالمحصنة هنا العفيفة عن الزنا لأن الإحصان له عدة معاني، منها العفيفة عن الزنا.

المتن: يتزوج المحصنة العفيفة، وإنما أُبيح له نكاح المرأة بهذا الشرط كما ذكر الله في سورة النساء والمائدة، والحكم المعلق على الشرط ينتفي عند انتفائه، والإباحة قد عُلقت على شرط الإحصان، فإذا انتفى الإحصان انتفت

الإباحة المشروطة به، فالمتزوج إما أن يلتزم حكم الله وشرعه الذي شرعه على لسان رسوله أو لا يلتزمه؛ فإن لم يلتزم فهو مشرك، لا يرضى بنكاحه إلا من هو مشرك مثله، وإن التزمه وخالفه، ونكح ما حُرم عليه لم يصح النكاح، فيكون زانيا، فظهر معنى قوله ﴿لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ وتبين غاية البيان، وكذلك حكم المرأة.

الشيخ: الزانية من عُرف زناها لا يجوز تزويجها أو أن يتزوجها حتى تتوب إلى الله توبة صحيحة من الزنا وتنتهي عدتها، ثم بعد ذلك يتزوجها.

المتن: وكما أن هذا الحكم هو موجب القرآن وصريحه فهو موجب الفطرة ومقتضى العقل.

الشيخ: نقف عند هذا.